

المسيح عليه السلام بين الصليب والعودة

المهندس
عبد
الرفاعي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ

.. النصارى يقولون : المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، صُلب ومات على الصليب ، وقام بعدها ، ثم رُفِعَ إلى السماء .. والمسلمون يقولون : لم يُصَلَّب ولم يُقْتَل ، ويقولون ألقى الله تعالى شبهه على آحر ، حيث صُلب هذا الآخر ، ونجا عيسى عليه السلام من الوضع على الصليب .. وحجّة المسلمين في هذا المذهب من القول هو ما ورد في الموروث من تفسير لدلالات قوله تعالى ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ هُمْ** ﴾ سنقف بإذن الله تعالى عند تفسير هذه العبارة القرآنيّة ، من منظار العبارات القرآنيّة المحيطة بها ، لنلقي الضوء على حقيقة ما تحمل من دلالات ، لنرى كيف أنّ عدم الوقوف على حرفيّة الصياغة القرآنيّة ، وفرض التصوّرات المُسبقة الصنع على دلالات النصوص القرآنيّة ، يُوصل إلى فهمٍ مُشوّهٍ لدلالات كتاب الله تعالى ..

﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِعَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ مَهْتِنًا عَظِيمًا ﴿٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٨﴾ وَإِنَّ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿٥٩﴾

[النساء : 155 – 157]

.. ما نراه - في البداية - أن القول بقتل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، هو قولٌ مذموم ، لأنه يُخالف الحقيقة ، وهذا ما نقرؤه في قوله تعالى ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ مَهْتِنًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ وما نراه أيضاً في هذا النصِّ الكريم ، أن قولهم بقتل المسيح عيسى ابن مريم وبصلبه ، يمتاز بما يلي :

- 1 - الذين اختلفوا فيه ، هم في شكٍ من هذا القول : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ .. وهذا الشكُّ له أسبابه كما سنرى إن شاء الله تعالى ..
- 2 - هو قولٌ ناتجٌ عن عدم علمٍ بحقيقة ما حصل ، وحامل هذا القول هو الظن الذي لا يُعني من الحق شيئاً : ﴿ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ ..
- 3 - لم يتيقنوا يقيناً كاملاً من قتله عليه السلام : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ..

4 - العبارة القرآنية: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ تبين لنا أن مرادهم هو قتله ، وبالتالي هم حاولوا ذلك ، ولكن النتيجة لم يتيقنوا منها .. بمعنى : أن محاولتهم بصلبه من أجل قتله ، لم يتيقنوا من نتيجتها ..

كل ذلك يدفعنا للوقوف عند العبارة القرآنية ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ هُمُ ﴾ بشكل عميق ، نُحلل فيه هذه العبارة القرآنية حرفاً حرفاً للوصول إلى الحقيقة ..
 .. في العبارة القرآنية: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ هُمُ ﴾ داخل الآية الكريمة ، نرى أن الضمير في كلمة ﴿ قَتَلُوهُ ﴾ يعود إلى ﴿ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ وكذلك الأمر بالنسبة للضمير في كلمة ﴿ صَلَبُوهُ ﴾ .. فالكلمتان [[﴿ قَتَلُوهُ ﴾ ، ﴿ صَلَبُوهُ ﴾]] صيغتهما متماثلة ، فعل ماض بصيغة المبني للمعلوم ، والضمير فيهما لا يعود إلا إلى ﴿ الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ..

ولا خلاف في ذلك على الإطلاق .. فلا يمكن لعاقل أن يعيد هذين الضميرين في كلمتي [[﴿ قَتَلُوهُ ﴾ ، ﴿ صَلَبُوهُ ﴾]] إلى غير المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ..
 .. ولكن .. إلى ماذا يعود الضمير المستتر المتعلق بكلمة ﴿ شُبِّهَ ﴾ ؟ ..

.. كلمة ﴿ شُبِّهَ ﴾ نراها بصيغة الفعل الماضي المبني للمجهول ، وليس بصيغة المبني للمعلوم كما رأينا في كلمتي [[﴿ قَتَلُوهُ ﴾ ، ﴿ صَلَبُوهُ ﴾]] .. وإعادة الضمير إلى عيسى عليه السلام ، بمعنى أن شبه عيسى أوقعه الله تعالى على إنسانٍ آخر ، يُصلب بدلاً من عيسى عليه السلام ، أمرٌ غير ممكن ، لأن عيسى عليه السلام (وفق هذا التصور) مشبّه به ، وليس بمشبّه ..

فإنَّ الله تعالى لم يقل (ولكن شبه الله به لهم) ، إنما يقول ﴿ وَلَكِنْ شُبِّهَ هُمْ ﴾ .. إذاً الروايات الملققة والمتناقضة فيما بينها ، من أنَّ الله تعالى أوقع شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ، تنقضها الصياغة اللغويَّة لهذه العبارة القرآنيَّة ..

ومن جهةٍ أُخرى .. لا يمكن إعادة الضمير المستتر المتعلِّق بكلمة ﴿ شُبِّهَ ﴾ إلى أيِّ إنسانٍ آخر ، كالذي زُعم أنَّه صُلِب بدلاً من عيسى عليه السلام ، لأنَّ هذا الآخر المفترض لم يرد له ذكرٌ في السياق السابق لهذه العبارة القرآنيَّة ، ولا حتَّى في اللاحق .. فكيف يُعيدون هذا الضمير إلى شخصٍ مُفترضٍ لا وجود له إلاَّ مخيلاًهم ؟ .. فما نراه أنَّه لا يُوجد في السياق النصِّي ولو إشارة لشخصٍ آخر ليمَّ إعادة هذا الضمير المستتر إليه أمَّا محاولات تخريج ذلك ، كالقول بأنَّ الضمير المستتر مُسنَد إلى الجار والمجرور : ﴿ هُمْ ﴾ ، بمعنى ولكن وقع لهم الشبَّه ، أو كالقول بأنَّ الضمير مُسنَد إلى ضمير المقتول ، في العبارة ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ ﴾ ، تصوِّراً بأنَّه يدلُّ على أنَّه وقع القتل على غيره ، فصار ذلك الغير المذكوراً بهذا الطريق ، فحسُن إسناد ﴿ شُبِّهَ ﴾ إليه .. هذه التخريجات لا تُسعفها الصياغة اللغويَّة لهذه العبارة القرآنيَّة ، وهي نتيجة فرض تصوُّر مُسبق الصنع على دلالات هذا النص الكريم ..

.. وهذه القصَّة التاريخيَّة الملققة ، بأنَّ الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ليُصلب بدلاً منه ، يتبيَّن فسادها من أكثر من سبب :

1 - القول بأنَّ الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ليُصلب بدلاً منه ، دون أيِّ ذكرٍ لذلك في كتاب الله تعالى ، وبناءً على روايات متناقضة متناقضة لكتاب الله تعالى ، ولسننه الكونيَّة التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر ، هذا القول يفتح باب السفسطة ، ويُعطي حيثيَّات الشك بما يراه الإنسان .. وكلُّ ذلك يتعارض مع منهج الله تعالى الذي لا يأتيه الشك لا من قريب ولا من بعيد .. يقول تعالى :

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا

أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف : 108]

.. إذا .. القول بأن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ليُصَلَّب

بدلاً منه ، هو قولٌ يتنافى مع سنّة الله تعالى التي لا تتبدّل ولا تتغيّر ..

2 - الزعم بأن الله تعالى ألقى شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ، ليُوضَعَ

على الصليب بدلاً من عيسى ، بمعنى أن الله تعالى أوهمهم بأن الذي وُضِعَ على الصليب

هو عيسى ، هذا الزعم يعني أنّهم صادقون فيما شاهدوه ، فهم شاهدوا صورة عيسى عليه

السلام على الصليب ..

3 - الروايات في هذا الأمر (نعتي إلقاء شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر

ليُصَلَّب بدلاً منه) متناقضة فيما بينها تناقضاً جلياً .. ولمعرفة حقيقة هذا التناقض ، سننظر

في النصّ التالي الذي أنقله بحرفيته من تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفتاح

الغيب ، للإمام محمد الرازي فخر الدين ، طباعة دار الفكر ، الطبعة الأولى (2005) م

.. وذلك في تفسير هذه الآية الكريمة :

]] اختلفت مذاهب العلماء في هذا الموضوع وذكروا وجوهاً :

الأول : قال كثيرٌ من المتكلمين : إنّ اليهود لما قصدوا قتله رفعه الله تعالى إلى

السماء فخاف رؤساءُ اليهود من وقوع الفتنة من عوامهم ، فأخذوا إنساناً وقتلوه

ولبسوا على الناس أنه المسيح ، والناس ما كانوا يعرفون المسيح إلاً بالاسم ، لأنّه كان

قليلَ المخالطة للناس ، وبهذا الطريق زال السؤال . لا يقال : إنّ النصراني ينقلون عن

أسلافهم أنّهم شاهدوه مقتولاً ، لأننا نقول : إنّ تواتر النصراني ينتهي إلى أقوامٍ قليلين

لا يبعد اتفاقهم على الكذب .

والطريق الثاني : أنّه تعالى ألقى شبهه على إنسانٍ آخر ثمّ فيه وجوه :

الأول : أن اليهود لما علموا أنه حاضرٌ في البيت الفلاني مع أصحابه ، أمر يهوذا رأسُ اليهود رجلاً من أصحابه يقال له **طيطايوس** أن يدخلَ على عيسى عليه السلام ويخرجه ليقتله ، فلما دخل عليه أخرج الله تعالى عيسى عليه السلام من سقف البيت وألقى على ذلك الرجل شبه عيسى فظنوه هو فصلبوه وقتلوه .

الثاني : وكَلُوا بعيسى رجلاً يجرسُه وصعد عيسى عليه السلام في الجبل ورُفِعَ إلى السماء ، وألقى الله شبهه على ذلك الرقيب فقتلوه وهو يقول لست بعيسى .

الثالث : أن اليهود لما هموا بأخذه وكان مع عيسى عشرةٌ من أصحابه فقال لهم : من يشتري الجنة بأن يُلقى عليه شبيهي ؟ فقال واحد منهم : أنا ، فألقى الله شبه عيسى عليه فأخرج وقُتِل ، ورفع الله تعالى عيسى عليه السلام .

الرابع : كان **رجل يدعي أنه من أصحاب عيسى** عليه السلام ، وكان منافقاً فذهب إلى اليهود ودلهم عليه ، فلما دخل مع اليهود لأخذه ألقى الله تعالى شبهه عليه فقتل وصُلب . وهذه الوجوه متعارضة متدافعة والله تعالى أعلم بحقائق الأمور . []

.. إذاً .. نحن أمام روايات متناقضة فيما بينها ، لن نصل من خلالها إلى أي نتيجة ، في معرفة من الذي ألقى شبه عيسى عليه ، مع العلم كما بينا أن هذه الفكرة ينقضها كتاب الله تعالى من أساسها ، وتنقضها سنة الله تعالى التي لا تبدل ولا تتغير ..

.. إلقاء شبه عيسى عليه السلام على إنسانٍ آخر ، هو عملٌ لا يستطيع القيام به إلا

الله سبحانه وتعالى ، وهذا يقتضي ورود كلمة **شُبَّهَ** بصيغة المبني للمعلوم ، ويقتضي

ورود كلمة به ، كون شبه عيسى عليه السلام وقع على غيره ، وليس العكس .. أي

يقتضي ورود هذه العبارة القرآنية بالصيغة (**ولكن شبه الله به لهم**) .. لكن .. ما نراه في

كتاب الله تعالى أن الله تعالى يأتي بالتشبيه بصيغة المبني للمجهول ، وأن الضمير المستتر

المتعلق بكلمة ﴿شُبَّهَ﴾ لا يمكن إعادته إلى أيِّ إنسانٍ آخر ، كون هذا الآخر لا يُوجد له ذكر في السياق السابق ، ولا حتى في السياق اللاحق ، لهذه العبارة القرآنيّة ..

.. إذاً .. قول الكثيرين من المسلمين بأنَّ الله تعالى أوقع شبه عيسى عليه السلام على شخص يُصَلَّب بدلاً من عيسى ، هو قولٌ تنقضه الصياغة اللغويّة لهذه العبارة القرآنيّة .. وأيضاً قول النصارى بأنَّ عيسى عليه السلام قُتل على الصليب ، هو قولٌ ينقضه كتابُ الله تعالى ، الذي يُؤكِّد لنا أنَّ المسيح عيسى ابنَ مريم عليه السلام ، لم يُصَلَّب ، ولم يُقتل .. ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ هُمْ﴾ ..

.. كلُّ ذلك يدفعنا لتدبر هذه العبارات القرآنيّة تدبراً سليماً عميقاً للوصول إلى الحقيقة ، فالحقيقة كلُّ الحقيقة محمولة في كتاب الله تعالى .. يقول تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : 89] ..

.. فعندما يقول تعالى عن كتابه الكريم بأنَّه تبيانٌ لكلِّ شيء ، فهذا يعني أنَّه تبيانٌ لكلِّ شيء ..

.. الضمير المستتر في كلمة ﴿شُبَّهَ﴾ يعود إلى أقرب ما ذُكِرَ إليه ، وأقرب ما ذُكِرَ إليه هو الصلب ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ هُمْ﴾ ، بمعنى شُبِّهَ الصلب لهم .. وهنا سؤالٌ يطرح نفسه كيف شُبِّهَ الصلب لهم ؟!!! للإجابة على هذا السؤال لا بدَّ من معرفة معنى الصلب في كتاب الله تعالى .. سنعود إلى كتاب الله تعالى ونأخذ مشتقات الجذر اللغوي (ص ، ل ، ب) ، وننظر في دلالاتها ضمن سياقها القرآنيّة ، وذلك بهدف معرفة معنى الصلب في كتاب الله تعالى ..

.. دلالاتُ الفعل الثلاثي (صَلَّبَ) تعني وَضَعَ الإنسانَ وتثبيتَه على أداةٍ ثابتةٍ حتى ينتقلَ إلى الحياة الأخرى من على هذه الأداة وبسبب تثبيته عليها .. أي هي الخروجُ من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى من خلالِ الوجودِ على أداةٍ ثابتةٍ صلبة ..

.. من هنا .. فالصليب : هُوَ الأداةُ الثابتةُ التي يخرجُ من خلالها المصلوبُ إلى الحياة الأخرى ... في هذا الإطارِ من المعنى ، تُفهم دلالاتُ مشتقاتِ الجذر (ص ، ل ، ب) في قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ [النساء : 157]

﴿ يَصَلِّجِي السِّجْنَ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيسْقَى رَبَّهُ حَمْرًا وَأَمَا الْآخِرُ فَيَصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ [يوسف : 41]

.. قوله تعالى ﴿ وَأَمَا الْآخِرُ فَيَصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ ، يعني أنه سيُوضع على الصليب حتى الموت ، ونتيجة لذلك ستأكل الطير من رأسه .. ولا يمكن أن يتصورَ أحدٌ أن كلمة ﴿ فَيَصَلِّبُ ﴾ تعني مجردَ الوضع على الصليب دون الموت ..

بمعنى آخر .. الصَّلْبُ لا يعني مجردَ الوضع على الصليب .. أبداً .. الصلب يعني تثبيت المصلوب على الصليب حتى موته ، وقبل موته لا يتم الصلب ، ولو نزل من وُضع على الصليب حياً دون أن يموت على الصليب ، عندها لا يكون قد صُلب .. الصلب يعني الموت على الصليب ... عندما يُطلق إنسانٌ النارَ على آخر بهدف قتله ، ولم يمض هذا الآخر نتيجة إصابته ، هل نقول : تم قتله ؟!!! .. أبداً .. أيضاً الصلب لا يكون بمجرد الوضع على الصليب .. الصلب هو الوضع على الصليب حتى الموت .. بمعنى : هو الموت على الصليب ، بسبب الوضع على الصليب ..

.. والصلْبُ الذي هو من مشتقاتِ الجذر (ص ، ل ، ب) : هُوَ الخطُّ الثابت الحامل للصفات المتوارثة من آدم عليه السلام إلى الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء ، والذي من

خلاله يخرج الإنسان إلى عالم الدنيا ، الذي هو العالم الآخر بالنسبة لمرحلة ما قبل خروج الإنسان إلى الحياة الدنيا ..

.. ففي قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٦﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٧﴾ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٨﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٩﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿١٠﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾ [الطارق : 5 - 10] .. نرى أن الآية الكريمة : ﴿ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ ، تعني : يخرج الإنسان من بين الخطّ الثابت للصفات الوراثية الذي هو ﴿ الصُّلْبِ ﴾ ، والممتد من آدم عليه السلام إلى الإنسان ، وبين الصفات المختلفة المكتسبة والظفرات الطارئة التي يحملها الإنسان خارج محور ﴿ الصُّلْبِ ﴾ الذي خرج إلى الحياة الدنيا من خلاله ، وبالتالي تُوصف هذه الصفات بـ ﴿ وَالتَّرَائِبِ ﴾ ، أي بالضعف والتفتت وعدم الثبات ، وذلك مقارنة مع الصفات التي يحملها الإنسان من محور الصُّلْبِ الذي خرج من خلاله إلى الحياة الدنيا ..

.. وهكذا .. فالصُّلْبُ هو الخطُّ الثابتُ الممتد من آدم عليه السلام إلى الإنسان ، حيث يخرج المولود من خلاله إلى حياةٍ أُخرى (الحياة الدنيا) ، تماماً كما أن الصليب أداة ثابتة يخرج من خلالها المصلوب عليه من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى ..

.. ولما كان لكل إنسانٍ صُلبُهُ الذي يخرج منه أولاده إلى الحياة الدنيا ، فإن لمختلف البشر أصلاً بهم التي تلتقي جميعها عند آدم عليه السلام ، والتي يخرج منها أولادهم ..

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا

دَخَلْتُمْ بِهِمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَلْتُ لُأَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴿

[النساء : 23]

.. وفي حين أن دلالات جذر الفعل الثلاثي (صَلَبَ) تعني الموت على الصليب دون تأثير خارجي ، بمعنى : أن الصليب كان البداية للخروج من الحياة الدنيا ، فمن على الصليب يبدأ المصلوبُ خروجه من الحياة الدنيا إلى الآخرة ، لا قبل ذلك ، دون أي مؤثر خارجي مُفتعل .. في الوقت ذاته ، نرى أن دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) ، تعني ابتداء مُقدّمات الخروج من الحياة الدنيا قبل الوضع على الصليب من خلال التعذيب وفعل مُقدّمات القتل ، ثم يأتي الصليب ليكون النهاية للمصلوب ، حيث يخرج المصلوب من الحياة الدنيا من خلال هذا الصليب نتيجة أفعال التعذيب التي تعرّض لها قبل الصلب ، إضافةً لوضعه على الصليب .. لننظر في قول الله تعالى الذي يصور لنا قول فرعون للسحرة :

﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف :

[124]

.. فالكلمة القرآنية : ﴿ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾ تعني الوضع على الصليب بعد قطع الأيدي

والأرجل من خلاف ، ونراها مسبوقاً بكلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ ، فهذه الحالة ﴿ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ ﴾

مسبوقه بتقطع أيديهم وأرجلهم .. ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ

لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ..

.. إذاً .. الموت على الصليب - في هذه الحالة - هو بسبب قطع الأيدي والأرجل

من خلاف ، ومن ثم بسبب الترك على الصليب حتى الموت .. والآية الكريمة التالية تُؤكّد

هذه الحقيقة : ﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ مِمَّنَّ الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ

فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ^{٤٩} لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ^{٥٠} وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ أَجْمَعِينَ^{٥١} ﴿

[الشعراء : 49]

.. فما نراه في هذه الآية الكريمة أنّ كلمة ﴿ وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ ﴾ جاءت خلف العبارة القرآنية ﴿ لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴾ ، ومعطوفة عليها ، بمعنى ستتمّ الحالة ﴿ وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ ﴾ بعد تمام الحالة ﴿ لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴾ ، وهذا يؤكّد صحّة ما نذهب إليه في بياننا لدلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) ..

وهذا ما نراه أيضاً في قوله تعالى :

﴿ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ^{٥٢} فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ^{٥٣} وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ^{٥٤} وَلِتَعْلَمَنَّ أُيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى^{٥٥} ﴾ [طه : 71]

هنا أيضاً العبارة القرآنية ﴿ وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ جاءت خلف العبارة القرآنية ﴿ فَلَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴾ ومعطوفة عليها .. وهذا يؤكّد صحّة ما نذهب إليه في بياننا لدلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) ..

وفي العبارة القرآنية ﴿ وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ نرى ورود كلمة ﴿ فِي ﴾ وليس كلمة (على) ، ولا يمكن لكلمة ﴿ فِي ﴾ أن تكون بمعنى كلمة (على) .. فالعبارة القرآنية ﴿ وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ ، تعني : الموت صلباً ﴿ وَلَا تُصَلِّبُنَكُمْ ﴾ ، وذلك من خلال كونهم محاطين ﴿ فِي ﴾ جذوع النخل ﴿ جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾ ..

.. وبالتالي فكلمة «يُصَلَّبُونَ» في الآية الكريمة التالية تُدرك دلالاتها ضمن هذا الإطار .. وقد بيّنت دلالات هذه الآية الكريمة وبالتفصيل في بحث : جزاء الذين يجاربون الله ورسوله ..

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة : 33]

.. إذاً .. في حين تحمل دلالات الفعل الثلاثي (صَلَّبَ) معنى كون الصليب بداية خروج المصلوب إلى الحياة الآخرة ، فإنَّ دلالات الفعل الرباعي (صَلَّبَ) تحمل معنى كون الصليب نهاية خروج المصلوب إلى الحياة الآخرة ، لأنَّ مُقدِّمات موت المصلوب كانت من خلال التعذيب وفعل كلِّ ما يُؤدِّي إلى الموت قبل الوضع على الصليب .. وحاصل الأمر .. أنَّ الصلب يعني الموت على الصليب ، ولا يعني مجرد الوضع على الصليب .. أبداً .. فالوضع على الصليب والتزول عنه دون الموت عليه ، لا يعني صلماً ولا بأيِّ شكلٍ من الأشكال .. وكما قلنا .. مثل ذلك كمثل من يطلق النار على آخر بهدف قتله ، ولم يُقتل نتيجة لذلك ، وعند ذلك ، لا يمكن أن نقول بأنَّ الآخر قد قُتل ..

.. إذاً .. العبارة القرآنية «وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ هُمْ» تنفي عن عيسى عليه السلام القتل ، وتنفي عنه الصلب ، ولكنها تؤكد تشبيه الصلب لهم .. فكيف يكون ذلك ؟ .. هذا يدفعنا لتبيان دلالات الجذر اللغوي (ش ، ب ، هـ) في كتاب الله تعالى ..

.. مشتقات الجذر (ش ، ب ، هـ) في كتاب الله تعالى تعني رؤية ظاهرٍ مخالفٍ لباطن المرئي وحقيقته ، وعدم إدراك حقيقة المسألة ، واختلاط الأمر بالنسبة لها ، مع أنَّ لها وجهاً ظاهراً .. بمعنى اختلاف الظاهر المشاهد عن الباطن غير المشاهد ..

.. لننظر في قوله تعالى :

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : 70]

.. قولهم ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا ﴾ يعني : إن الأمور قد اختلطت علينا لدرجة لم نعد ندرك حقيقة البقرة المطلوبة ، فظاهر البقر أمام أعيننا يجعلنا لا ندرك حقيقة البقرة التي نطلبها .. ولننظر أيضاً في قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ [البقرة : 25] ..

.. العبارة القرآنية ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ تعني أن ظاهر ذلك الرزق متماثل ، مع أن حقيقة طعمه مختلفة ، أي يرون ظاهراً مختلفاً عن الباطن الذي تصوّروه ..

.. هذا المعنى المستمد من دلالات الجذر اللغوي (ش ، ب ، هـ) في كتاب الله تعالى ، لنسقطه على كلمة : ﴿ شُبِّهَ ﴾ في العبارة القرآنية : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ..

.. الآن أصبحنا ندرك أن الذي شُبِّه لهم ، الذي نقرؤه في الصورة القرآنية : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ، إنما هو الصلب ، أي شُبِّه الصلب لهم ، بمعنى أنهم شاهدوا ظاهراً يُوهِم بالصلب ، مع أن حقيقة الأمر وباطنه غير ذلك ..

.. ولما كان هذا الشبّه ليس من فعلهم أو فعل غيرهم ، وهو مجرد توهم اعتقدوه ، لذلك كان الفعل ﴿ شُبِّهَ ﴾ بصيغة المبني للمجهول ..

إذاً .. عيسى عليه السلام تمّ وضعه على الصليب ، واعتقدوا أنه فارق الحياة من على الصليب ، بمعنى اعتقدوا أنه صُلب وقُتِل ، وهذا ما شُبِّه لهم ، ولكن الحقيقة أنه أنزل من على الصليب حياً لم يفارق الحياة ، وبالتالي لم يُصلب ولم يُقتل ..

فظاهر هذه المسألة (الوضع على الصليب والاعتقاد بأنه فارق الحياة من عليه) ، وهذا ما اعتقده النصارى الذين يذهبون إلى أن المسيح عيسى ابن مريم صُلب ، هذا الظاهر ، يخالف باطنها وحقيقتها ، والحقيقة أنه عليه السلام لم يمّت على الصليب وأنزل عنه حيّاً ، وبالتالي لم يُصَلَب ..

إذاً .. ما يذهبون إليه من أن المسيح عليه السلام قام من موته بعد ذلك ، هو في الحقيقة قيامه عليه السلام من حالة الغيبوبة التي كان عليها ، لأنه أصلاً - حينما قام - لم يكن قد مات .. وتكملة الآية الكريمة ذاتها تؤكد هذه الحقيقة ..

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾
﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾

فقوله تعالى ﴿ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ يبيّن لنا أنهم هم شكّوا في كونه مات على الصليب ، أم لم يمّت .. وقوله تعالى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ يبيّن عدم التيقّن من قتله .. وكلّ ذلك يُرَكِّدُ صَحَّةَ ما نذهب إليه من أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وُضِعَ على الصليب ، ولكنه أنزل عنه حيّاً ، وبالتالي لم يُصَلَب ..
وقوله تعالى في هذا النص ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ ، يبيّن لنا مسألة أخرى هي رفعُ الله تعالى لعيسى عليه السلام ، وذلك كردّ على مكرهم ومحاولتهم لصلبه وقتله ..

.. وتأتي الآية التالية مباشرة لتبيّن لنا مسألة هامة جداً ، هي عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وبدليل جليّ واضح وضوح الشمس وسط النهار ..

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمُؤْمِنِينَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾

.. مسألة عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، هي مسألة أختلف فيها ما بين مؤكِّد لها ، وبين نافٍ لها على الإطلاق .. وما يزيد الخلاف والخلط في هذا الأمر هو الروايات والقبيل والقال مما لم يُترَل اللهُ تعالى به سلطاناً ..

وقد لامني بعض الإخوة في إقرار مسألة عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ظناً منهم أنني أؤكد ذلك انتصاراً لروايات التاريخ .. والحقيقة أن ما أذهب إليه في عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ناتجٌ عن تدبيري لكتاب الله تعالى ، وعن امتلاكي للأدلة والبراهين الدامغة من كتاب الله تعالى ، ولا علاقة لما أذهب إليه بما تحمله الروايات التاريخية .. أبداً .. فهناك من الخلط في هذه الروايات ما ينقضه كتاب الله تعالى ..

والأدلة القرآنية على عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في كتاب الله تعالى كثيرة .. ولكن .. كوننا ذاهبين في سياق تفسير النصِّ الكريم الذي بين أيدينا ، سنكتفي

- في هذا السياق - بعرض الدليل المحمول بهذه الآية الكريمة : ﴿ **وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**

إِلَّا لِيَوْمٍ مِنْهُمْ فِيهِ مَوْتٌ ، **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ ..

.. قبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة التي تحمل أكبر دليل على عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، لا بُدَّ من شرح مفهوم الوفاة والموت في كتاب الله تعالى ، وذلك كون هاتين المسألتين لهما تعلقهما بوفاة المسيح عليه السلام ، ومن بعد ذلك بموته بعد عودته ..

.. مشتقات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى تدور دلالاتها داخل إطار التمام ، فوفى الشيء تم .. وكلُّ شيء بلغ تمام الكمال فقد وفى وتم .. وأوفى الشيء أمته ولم ينقص منه شيئاً .. ووفى تعني أتم على أكمل وجه .. وتوفى الشيء واستوفاه إذا أخذه واسترده كله .. هذا هو الإطار العام من المعنى والدلالات لمشتقات هذا الجذر اللغوي في كتاب الله تعالى ..

وهذا الإطار من المعنى والدلالات للجذر اللغوي (و ، ف ، ي) يقابله في كتاب الله تعالى - بالنسبة للإنسان ككائن يتميز بكونه نفساً وجسماً - إطارٌ يجوي الدلالات الخاصة بالإنسان للجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) .. فبعث الشيء أرسله .. وانبعث اندفع نتيجة إثارته من محله وإزالة ما كان يحبسه عن التصرف ..

فما بين أخذ الشيء واسترداده من جهة على أكمل وجه وأتمه حيث دلالات الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ، وبين إرسال الشيء واندفاعه وإزالة ما كان يحبسه عن التصرف من جهةٍ أخرى حيث دلالات الجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) ، نرى تقابلاً كاملاً في المعنى والدلالات ..

.. هذا التقابل في إطار المعنى والدلالات ينعكس تقابلاً في مجموع ورود مشتقات هذين الجذرين المتعلقة بالإنسان ، في كتاب الله تعالى ..
 .. مشتقات الجذر (ب ، ع ، ث) في كتاب الله تعالى ترد (67) مرة .. لكن .. في مرة واحدة منها تتعلق بالغرّاب وليس بالإنسان ..

﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُنَوِّلتُ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾

[المائدة : 31]

.. وبالتالي تكون المشتقات المتفرعة من الجذر اللغوي (ب ، ع ، ث) والتي يتعلّق الإنسان بها قد وردت (66) مرة ، وهذا العدد هو ذاته عدد ورود المشتقات المتفرعة من الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ، فمشتقات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ترد أيضاً (66) مرة ..

.. ولو عدنا إلى مشتقات الجذر اللغوي (و ، ف ، ي) ونظرنا في المشتقات التي تعني الوفاة التي تعني استيفاء النفس واسترجاعها واستردادها من الجسم ، وهي ذاتها

المشتقات التي تشترك مع الموت بخروج النفس من الجسم ، لرأيناها : (25) مشتقاً من هذا الجذر اللغوي ..

.. وهذه المشتقات التي تعني استرداد النفس واستيفاءها من الجسم ، والتي تتقاطع مع الموت بخروج النفس من الجسم ، والتي ترد في كتاب الله تعالى ، تنقسم إلى قسمين :

1 - قسم يعني خروج النفس من الجسم كبداية لخروج الحياة من الجسم ، بمعنى كبداية للموت ، وهذا القسم يرد (21) مرة ..

- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ ﴾ [البقرة : 234]
- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً ﴾ [البقرة : 240]
- ﴿ وَكَفَّرْنَا عَنْهَا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّانَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران : 193]
- ﴿ فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ [النساء : 15]
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الِّمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا ﴾ [النساء : 97]
- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام : 61]
- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا ﴾ [الأعراف : 37]
- ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف : 126]
- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الِّمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ ﴾ [الأنفال : 50]
- ﴿ وَإِنَّمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [يونس : 46]
- ﴿ * تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ [يوسف : 101]
- ﴿ وَإِنَّمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [الرعد : 40]
- ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيْنَاهُمُ الِّمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَالْقُوا ﴾ [النحل : 28]

- ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ ﴾ [النحل : 32]
- ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى ﴾ [النحل : 70]
- ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى ﴾ [الحج : 5]
- ﴿ * قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة : 11]
- ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : 42]
- ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ مِنْ قَبْلُ وَلَتَبْلُغُوا أَجَلَ ﴾ [غافر : 67]
- ﴿ فَإِمَّا تُرِينَاكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيْنَاكَ ﴾ [غافر : 77]
- ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴾ [محمد : 27]

وهذا القسم الذي يرد (21) مرّة يشترك مع الموت في مساحة واسعة من الدلالات ، فهو يعني خروج النفس من الجسم ، خروجاً نهائياً .. ولكن هذه المشتقات جاءت من الجذر (و ، ف ، ي) لتلقي الضوء على مسألة الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من عالمها عالم الدنيا (في الجسم) إلى العالم الآخر ..

.. وتتجلى عظمة الإعجاز القرآني ، أن مجموع هذه المشتقات من الجذر (و ، ف ، ي) ، والتي تعني فيما تعني الموت من زاوية استيفاء النفس واستردادها من الجسم ، مع كلمة : ﴿ الْمَوْتُ ﴾ المعرفة بأل التعريف ، مع كلمة موت المعرفة تعريف إضافة :

[﴿ مَوْتِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهِمْ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهَا ﴾ ، ﴿ الْمَوْتَةَ ﴾ ، ﴿ مَوْتَتَنَا ﴾] ... أن هذا المجموع هو الطرف الأول في معادلة طرفها الثاني هو مجموع ورود كلمة ﴿ الْحَيَاة ﴾

المسيح بين الصليب والعودة المهندس عدنان الرفاعي 19

المعرفة بأل التعريف ، مع كلمة ﴿ الْحَيَّوَانُ ﴾ التي ترد مرّة واحدة ، مع مجموع ورود

كلمة حياة المعرفة تعريف إضافة [﴿ حَيَاتِكُمْ ﴾ ، ﴿ حَيَاتِنَا ﴾ ، ﴿ حَيَاتِي ﴾] ..

.. المشتقات من الجذر (و ، ف ، ي) والتي تعني فيما تعني الموت من زاوية

استيفاء النفس واستردادها من الجسم ترد (21) مرّة كما رأينا ..

كلمة ﴿ الْمَوْتُ ﴾ المعرفة بأل التعريف ترد (35) مرّة ..

كلمة موت المعرفة تعريف إضافة : [﴿ مَوْتِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَوْتِهِ ﴾ ، ﴿ مَوْتِي ﴾ ،

﴿ الْمَوْتَةَ ﴾ ، ﴿ مَوْتَتَنَا ﴾] ترد (17) مرّة ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الأول من هذه المعادلة : $21 + 35 + 17 = 73$

وبالمقابل .. كلمة ﴿ الْحَيَّوَةُ ﴾ المعرفة بأل التعريف ترد (67) مرّة ..

كلمة ﴿ الْحَيَّوَانُ ﴾ ترد (1) مرّة واحدة ..

وكلمة حياة المعرفة تعريف إضافة [﴿ حَيَاتِكُمْ ﴾ ، ﴿ حَيَاتِنَا ﴾ ، ﴿ حَيَاتِي ﴾]

ترد (5) مرّات ..

وهكذا يكون مجموع الطرف الثاني من هذه المعادلة : $67 + 1 + 5 = 73$

2 - القسم الثاني من مشتقات الجذر (و ، ف ، ي) يعني خروج النفس من

الجسم مع بقاء الحياة فيه ، وهذا يكون في منام النفس .. وهذا القسم يرد (4) مرّات :

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَنعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران : 55]

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [المائدة : 117]

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّيْكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا ﴾ [الأنعام : 60]

﴿..... وَلَكِنَّ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّنَا﴾ [يونس : 104]

وهذا القسم لا يعني الموت (بمعنى فقدان الحياة) إطلاقاً ، فهو يعني حالة المنام حيث يتوفى الله تعالى النفس فيها ، لتعود بعد ذلك إلى جسمها الحي ..

.. وما يقابل هذه الحالة في كتاب الله تعالى هو كلمة المنام وإضافاتها ، حيث يقول

تعالى ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : 42] ..

.. وتتجلى عظمة الإعجاز الإلهي أن عدد مرّات ورود مشتقات الجذر (و ، ف ،

ي) في كتاب الله تعالى والتي تعني حالة تكون في المنام ، وتعود النفس بعدها إلى جسمها

الحي ، يساوي بالضبط عدد مرّات ورود كلمة المنام وإضافاتها : [﴿ الْمَنَام ﴾ ،

﴿ مَنَامِك ﴾ ، ﴿ مَنَامِكُمْ ﴾ ، ﴿ مَنَامِهَا ﴾] حيث ترد أيضاً (4) مرّات ..

﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ﴾ [الأنفال : 43]

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِمْ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [الروم : 23]

﴿ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْخُك ﴾ [الصافات : 102]

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ [الزمر : 42]

.. أمّا الموت بالنسبة للإنسان .. فهو انقطاع صلته بالحياة الدنيا نفساً وجسماً ..

بمعنى خروج النفس من الجسم (وفاة النفس) خروجاً نهائياً لا عودة بعده إلى جسمها في

الحياة الدنيا ، وخروج الحياة من الجسم خروجاً نهائياً .. فالموت هو انقطاع الصلة الحيّة

والتفاعل الحي مع الوسط المادّي المحيط ..

.. ولذلك فالموت يشمل الأرض والنبات والحيوان والإنسان وكلّ حيّ يتفاعل

تفاعلاً حياً مع الوسط المحيط به ..

.. العبارة الأولى في الآية الكريمة ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ**

مَوْتِهِ ۗ **وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ [النساء : 159] هي ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ**

الْكِتَابِ إِلَّا ﴾ .. وهذه الصيغة لا تحمل أيَّ استثناء لأيِّ من أهل الكتاب .. فأهل

الكتاب كلُّ أهل الكتاب ، سيؤمنون بالمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام قبل موته ..

.. فهذه الصيغة (وإن من إلا) لا تحمل أيَّ استثناء ..

﴿ **وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا** عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر : 21]

﴿ **وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا** يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : 44]

﴿ **وَإِن مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا** نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الإسراء : 58]

﴿ **وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا** وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : 71]

﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** **وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا** خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : 24]

.. إذا .. أهل الكتاب كلُّ أهل الكتاب ، سوف يؤمنون بالمسيح عيسى ابن مريم

عليه السلام قبل موته : ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ** ﴾ ..

ما نراه أيضاً في هذه الآية الكريمة هو ورود عبارة : ﴿ **أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ ، وهذه

العبارة لها حدودها التي تميّزها عن حدود دلالات العبارة : ﴿ **الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾ ..

فعبارة : ﴿ **الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ** ﴾ تعني - فيما تعني - أصحاب الرسالات السماوية

الثلاث ، إلا في حال ورودها ضمن سياق قرآني يُخصّصها .. بينما دلالات العبارة :

﴿ **أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ فهي محصورة في أتباع الرسالتين السماويتين السابقتين ، ولا علاقة

لأتباع الرسالة الخاتمة بها ..

.. إذا .. ورود عبارة ﴿ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ في هذه الآية الكريمة ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾^ط يُؤكِّدُ أَنَّ المعنيتين هم أهل الكتاب ، وهم

المحسوبون على الرسالتين السماويتين السابقتين (الذين هادوا والنصارى) ، ولا علاقة

للمسلمين متبعي الرسالة الخاتمة بدلالات هذه الآية الكريمة .. فأيات كتاب الله تعالى تبين

لنا بشكل جلي لا يخفى على أي متدبر لها ، أن ﴿ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ عبارة قرآنية تعني

المحسوبين على الرسالتين السابقتين ، ولا تعني أتباع الرسالة الخاتمة ... من هذه الآيات :

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : 123]

﴿ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾

[النساء : 171]

﴿ قُلْ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ

إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ

عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : 68]

.. وأهل الكتاب كلهم ودون أي استثناء ، سيؤمنون بعيسى عليه السلام في الفترة

المحمولة بالعبارة القرآنية : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾^ط : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ

قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾^ط .. وهذا الأمر لم يتحقق في الماضي إطلاقاً ، فمن المعلوم أنه عليه السلام

قبل رفعه إلى السماء ، كفر معظمهم به : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ

أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ^ط قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ ﴿ [آل عمران : 52] ..

.. إذا .. سحب دلالات العبارة : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ^ط ﴾ على الماضي ، قبل رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ، هو أمرٌ خاطئٌ بكلِّ المقاييس ، هو أمرٌ تنقضه دلالات كتاب الله تعالى جملةً وتفصيلاً .. فهذا الأمر [إيمان أهل الكتاب - به عليه السلام - ودون أي استثناء] لم يتحقق بعد ..

.. وورود كلمة : ﴿ لِيُؤْمِنُوا ﴾ بصيغة المضارع حيث اللام الموطئة للقسم : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ^ط ﴾ ، هو من جملة الأدلة التي تبين لنا أنَّ الحدث المعني بهذه الآية الكريمة ، سيقع مستقبلاً ، بعد نزول النصِّ القرآني ، وليس قبله ..
.. أليست اللام في كلمة : ﴿ لِيُؤْمِنُوا ﴾ موطئة للقسم ؟ .. أليس الفعل المضارع : ﴿ يُؤْمِنُوا ﴾ مبنياً على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ؟ ... ألا يُحاكي ذلك ورود كلمة : ﴿ لِيُسْجَنَنَّ ﴾ في قوله تعالى :

﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ [يوسف : 32]

أليست اللام في كلمة : ﴿ وَلَئِنْ ﴾ موطئة للقسم ، واللام في كلمة : ﴿ لَيُسْجَنَنَّ ﴾ واقعة في جواب القسم ؟ .. أليس الفعل المضارع المبني للمجهول : ﴿ يُسْجَنَنَّ ﴾ مبنياً على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ؟ .. هل يُوجد عاقلٌ مُدركٌ للحدِّ الأدنى من

قواعد اللغة ، بإمكانه أن يتخيل - مجرد تخيل - أن المعنى بكلمة : ﴿ كَيْسَجَتْنٌ ﴾ ليس أمراً مستقبلياً بالنسبة لقول امرأة العزيز ؟ ..

.. أليس ما رأيناه في كلمتي ﴿ كَيْؤْمِنٌ ﴾ ، ﴿ كَيْسَجَتْنٌ ﴾ [نراه - أيضاً - في

اللام في كلمة ﴿ كَيْحَبَطْنٌ ﴾ ، في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر : 5]

.. اللام في كلمة : ﴿ لَئِنْ ﴾ موطئة للقسم ، واللام في كلمة : ﴿ لَيَحْبَطَنَّ ﴾ واقعة

في جواب القسم ، والفعل المضارع : ﴿ يَحْبَطَنَّ ﴾ مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد

الثقيلة .. فهل يُوجد عاقل يتخيل - مجرد تخيل - أن المعنى بكلمة : ﴿ لَيَحْبَطَنَّ ﴾ ليس

أمراً مستقبلياً بالنسبة لما أوحاه الله تعالى ؟ والأمثلة كثيرة ..

.. فلا يمكن لعاقل عنده حد أدنى من إدراك قواعد لسان كتاب الله تعالى ، أن

يتخيل - مجرد تخيل - أن الإيمان المعنى بكلمة : ﴿ كَيْؤْمِنٌ ﴾ حدث ليس مستقبلياً بالنسبة

لتزول كتاب الله تعالى ، الذي يُخبرنا الله تعالى فيه بهذا هذا الأمر ..

.. إذا .. ورود كلمة ﴿ كَيْؤْمِنٌ ﴾ بهذه الصيغة مسبوقاً بالصيغة (وإن من إلا) :

﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِمْ قَبْلَ مَوْتِهِمْ ﴾ ، له دلالاته التي تؤكد صحة ما

نذهب إليه ... فلو كان الأمر يحدث بشكل مستمر قبل نزول النص القرآني ، وبعده ،

على الأقل لما وردت كلمة : ﴿ كَيْؤْمِنٌ ﴾ بهذه الصيغة ، كما بينا وهذا ما نراه

بورود كلمة : ﴿ يُسَيِّحُ ﴾ بالصيغة التي ترد بها في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَيِّحُ

بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء : 44] ، فالتسييح المعنى هنا واقع قبل نزول القرآن الكريم وبعده ..

وورود كلمة: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ بصيغة المضارع ، ومسبوقة بالصيغة (وإن من إلا) :
﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، هذا الورد ، له دلالاته التي تؤكد صحّة ما نذهب إليه .. فهذه الصيغة ، تُبين لنا تفاعلاً من أهل الكتاب يختارونه هم بإرادتهم ، كإيمانٍ بعيسى عليه السلام قبل موته ... ولو وردت كلمة: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ بصيغة أُخرى لما أدّت هذا المعنى .. مثلاً .. في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم : 71] ، نرى كلمة ﴿ وَارِدُهَا ﴾ بصيغة اسم الفاعل .. فالورود إلى حالة الصراط حول جهنّم سيحصل ، ودون استثناء لأحد .. ولكن .. ليس نتيجة اختيار ، وإتّما بشكل حتمي بعيداً عن اختيار الإنسان ..
.. ولو وردت كلمة: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ بصيغة الماضي لما أدّت هذا المعنى ، ولكان إيمانهم بالمسيح عيسى ابن مريم حاصلاً قبل نزول النصّ القرآني .. ومثيل ذلك في كتاب الله تعالى هو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : 24] ..

.. ولو كان الحدث المعني في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ واقعاً بشكل مستمرّ ، لما جاءت كلمة: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ بهذه الصيغة ، أبداً ، ولجاءت بصيغة أُخرى ، مثلاً: (وإن من أهل الكتاب إلا هو مؤمنٌ به قبل موته) ..

.. حاصل الأمر .. هو أنّ ورود كلمة: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ﴾ بهذه الصيغة في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، دليلٌ على أنّ الحدث المعني في هذه الآية الكريمة ، هو حدثٌ مستقبليٌّ بالنسبة لتزول النصّ القرآني ..

.. وورود العبارة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، كظرف زمان متعلق ب : ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ ﴾ :
 ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، دليل آخر على صحة ما
 نذهب إليه ، فإيمان أهل الكتاب المعني هنا ، هو في الزمن : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ... وهذه
 العبارة القرآنية : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ نراها بصيغة الموت ، وليس بصيغة الوفاة .. وكنا قد
 بينا كيف أن عيسى الآن متوفى وفاة منام ، وليس من الموتى ..
 .. ولنقف عند النص القرآني التالي الذي ترد فيه كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ في خطاب
 الله تعالى لعيسى عليه السلام ..

﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ۗ ﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ إِنِّي
 مُتَوَفِّيكَ ۖ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ۖ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
 تَخْتَلِفُونَ ﴿ [آل عمران : 54 - 55]

.. قول الله تعالى لعيسى عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَىٰ ﴾ هو خطاب من الله
 تعالى لعيسى عليه السلام حينما مكر به الذين كفروا ، وبالتالي فما وعد الله تعالى به
 عيسى عليه السلام ، هو أربعة أمور ستحصل معه بعد هذا الخطاب له ، وستحصل معه
 بالترتيب الذي ترد به في كتاب الله تعالى .. وهذه الأمور هي :

- 1- ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ ..
- 2- ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ..
- 3- ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ..
- 4- ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ..

.. الأمر الأوّل كبشرى ممّا بشره الله تعالى به ، وبهذه الصيغة ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، يعني خصوصيّة ستحصل مع عيسى عليه السلام ، شأنها شأن الخصوصيّات التالية لها ، وكمقدّمة للخصوصيات التالية بعدها .. ويعني حدثاً لم يحدث له من قبل .. وإضافة لما بيّناه أنّ الوفاة المعنويّة هنا هي الوفاة التي تكون في المنام ، وليست الوفاة المتعلّقة بالموت ، نقول : الوفاة هنا ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ لها خصوصيّتها كوفاة مميّزة متعلّقة بعيسى عليه السلام دون غيره ، ومختلفة عن الوفاة في منامه هو ، التي كانت تحصل له يومياً - كباقي البشر - قبل هذه الوفاة : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ..

.. الصياغة القرآنيّة للموت المستقبلي بالنسبة للمخاطب ، جاءت في كتاب الله تعالى بصيغ لا توجد فيها صيغة مشابهة لصيغة كلمة : ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ ... فالموت المستقبلي - بالنسبة للمخاطب - دون الصيغة الفعلية ، نراه في قوله تعالى ..

﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون :

[16 - 15]

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾

[الزمر : 30 - 31]

.. ولو نظرنا في صيغ الفعل المضارع للمشتقات المتفرّعة من الجذر (م ، و ، ت) ، والتي تحمل دلالة الموت المستقبلي في الحياة الدنيا ، لرأيناها بصياغات مختلفة ، لا توجد فيها صيغة واحدة تؤدّي معنى صيغة (ميمت) ، فالموت حاصل لكلّ نفس كنتيجة لا مفرّاً منها : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿٥٧﴾ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : 57] .. والموت الحاصل كنتيجة لا مفرّاً منها ، له أجله الذي لا يُقدّم ولا يُؤخّر ..

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ ۚ سَاعَةٌ ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل : 61]

.. وحتى في مشتقات الجذر (و ، ف ، ي) في كتاب الله تعالى ، فإن الصيغة التي

ترد فيها كلمة : ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ هي الوحيدة فقط في هذه المشتقات ..

.. ما أودُّ قوله هو مسألان :

1 - كلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ التي خاطب الله تعالى بها عيسى عليه السلام ، من

المستحيل أن تعني الوفاة المتعلقة بالموت ، وذلك كبيانٍ إضافي لما بيناه سابقاً ، فهي تعني الوفاة التي تكون للنفس في منامها ... ففي قول عيسى عليه السلام عن نفسه ..

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : 33]

.. نرى أنه يصف موته بالصيغة الفعلية ﴿ أَمُوتُ ﴾ ، ونرى في هذه الصيغة فعل

الموت الطبيعي الذي يجيء إلى الإنسان ، ولا نرى أي إشارة لأي استثناء ، فهو الموت الذي لا يُقدَّم ولا يُؤخَّر وهذه الصيغة : ﴿ أَمُوتُ ﴾ تحمل ذات الحياتية المحمولة

بدلالات قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : 30] ..

.. بينما العبارة : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، نراها بصيغة تحمل دلالات وفاة فاعلها الله

تعالى ، كردٍّ من الله تعالى على مكرهم ، وكنتيحة لمكر الله تعالى ردّاً على مكرهم ..

﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : 8] إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَىٰ إِنِّي

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ

الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿ [آل عمران : 54 - 55]

.. فالموت الطبيعي الذي نقرؤه من دلالات كلمة : ﴿ أَمُوتُ ﴾ في قول عيسى عن نفسه : ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : 33] ، يتنافى مع تحميل دلالات العبارة القرآنية : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ دلالات الوفاة المتعلقة بالموت ، كون هذه الوفاة هي بشرى وعطاء لعيسى عليه السلام مع مجموعة أمور بشّره الله تعالى بها ، وكون هذه الوفاة ردّاً على مكرهم وإنقاذاً له من ذلك ..

2 - هذه الوفاة المحمولة بكلمة ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ والتي تعني الوفاة التي تكون للنفس

في منامها ، لها خصوصية خاصة بعيسى عليه السلام تميّزها عن وفاة النفس في منامها .. فالوفاة التي تكون للنفس يومياً في منامها حيث تخرج بها النفس من جسمها ثم تعود إليه ، والتي اعتدنا عليها في حياتنا الدنيا .. هذه الوفاة .. تكون عادة لساعات .. بينما الوفاة التي أخبر الله تعالى بها عيسى كردّ على مكر الذين كفروا به والتي تعني وفاة النفس في منامها ، وكبشرى بشّره الله تعالى بها : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ، وكبشرى متبوعة ببشرى أخرى هي رفع الله تعالى له كحدث تالٍ لهذه الوفاة ... هي - بهذه الصيغة الوحيدة في كتاب الله تعالى - وفاة مستمرة ، لن تعود فيها نفسه إلى جسمه الحي آلاف السنين .. وهنا نرى مكنن الخصوصية المحمولة بالعبارة القرآنية : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ... لذلك فقول عيسى عليه السلام ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ في حوارهِ مع الله تعالى في الآخرة :

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ۖ كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾
[المائدة : 117]

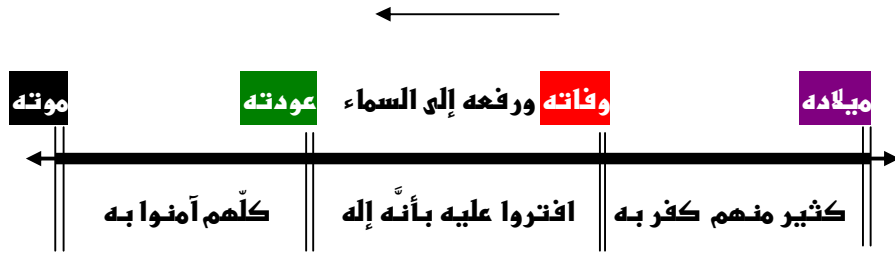
.. هذا القول : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ ، يعني به الوفاة المحمولة بالعبارة القرآنية : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ ، والتي استمرت من بداية تنفيذ الوعد الإلهي له ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ حتى عودته في آخر الزمان والتي سيموت فيها ، تلك العودة التي من خلالها يعرف أهل الكتاب حقيقته ويؤمنون به إيماناً سليماً : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِمْ قَبْلَ مَوْتِهِمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء : 159] ..

.. ما نراه أن قول عيسى عليه السلام في حوارهِ مع الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ۖ كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة : 117] ، يتعلّق بفترة زمنية ، يكون فيها الافتراء عليه بأنّه إله ، وهذا لم يحصل أثناء وجوده قبل رفعه إلى السماء ، أبداً ... افتراؤهم عليه بأنّه إله أو ابنُ الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، حصل أثناء فترة وفاته : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ .. فقبل رفعه إلى السماء ، معظمهم كفر به ، وبعد رفعه إلى السماء افتروا عليه بأنّه إله ..

.. بينما في الفترة الزمنية المحمولة بالعبارة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِمْ ﴾ ، نرى وصفاً لمرحلة أُخرى ، تختلف عن مرحلة وجوده قبل رفعه إلى السماء ، وتختلف عن مرحلة افتراءهم عليه بأنّه إله بعد رفعه إلى السماء ، وفي هذه المرحلة هناك بشرٌ آخرون من أهل الكتاب ، كلهم - ودون أيّ استثناء - سيؤمنون به عليه السلام في هذه الفترة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِمْ ﴾

المسيح بين الصليب والعودة المهندس عدنان الرفاعي 31

ما بين عودته وموته .. وهذا يؤكد لنا أن الوفاة المعنوية بقوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾
وبقول عيسى عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ ، تختلف تماماً عن الموت المحمول بالعبارة
الكريمة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ... القول بأن الوفاة المعنوية بالعبارة : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾
تعني الموت المعني بالعبارة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، يقتضي أن كل أهل الكتاب – ودون أي
استثناء – آمنوا به قبل رفعه إلى السماء ، وهذا مستحيل بنص كتاب الله تعالى ..



.. إذا .. ورود العبارة القرآنية : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ بصيغة الموت وليس بصيغة الوفاة
(إضافة لما بيناه من أدلة أخرى) له دلالة ، بأنه حدثٌ مستقبليٌّ بالنسبة لتزول النصِّ
القرآني ..

.. وهنا علينا أن نُميِّز في أهل الكتاب ، بين من يكفر به كاليهود ، وبين من يعتبره
إلهاً أو ابناً لله تعالى كالنصارى ، كلاهما سيؤمن به حين عودته ، فالذين يعتبرونه إلهاً أو
ابناً لله تعالى ، سينتهون عن قولهم هذا ، والذين ينكرون أنه رسول كاليهود ، سيؤمنون
بأنه رسولٌ من عند الله تعالى .. بالنتيجة .. كلُّ أهل الكتاب سيؤمنون به عليه السلام
حين عودته ..

.. وما نراه أنَّ الإيمان هو به هو : ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا

لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ .. بمعنى : يطمئنون لحقيقته ، ويشقون به ، ويصدقونه ..

والإيمان بشخص نراه في كتاب الله تعالى ، عبر إيمان سحرة فرعون بموسى عليه السلام ..

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي

الْمَدِينَةِ لِيُتَخَرَّجُوا مِنهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴾ [الأعراف : 123]

.. والصيغة : ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ

مَوْتِهِ ﴾ ، أعني كون الإيمان المعني هو به عليه السلام : ﴿ بِهِ ﴾ ، تُؤكِّد - أيضاً -

صحَّة ما نذهب إليه في تفسيرنا لهذه الآية الكريمة ، فالأمر يتعلَّق بافترائهم عليه هو بأنَّه إلهٌ

أو ابنُ الله تعالى ، وهذا الافتراء الذي افتروه عليه بعد وفاته ، سينتهي حين عودته ..

حذر المشكلة عند الإخوة الذين أنكروا عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ،

يكمن في أنَّهم يعتقدون بعودة الضمير في كلمة ﴿ مَوْتِهِ ﴾ إلى الفرد من أهل الكتاب

حين موته ، وليس إلى عيسى عليه السلام ..

في الآية الكريمة التي نحن بصدد دراستها ، كلُّ الضمائر تعود إلى المسيح عيسى ابن

مريم ، فمن الواضح في العبارة ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ أنَّ الضمير الهاء

في كلمة ﴿ بِهِ ﴾ يعود إلى عيسى ، ولا خلاف في ذلك ، ومن الطبيعي أن يعود الضمير

الهاء في العبارة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ إلى عيسى أيضاً ، ولا خلاف أنَّ عيسى عليه السلام هو

المعني بالعبارة ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .. هذا ما يقتضيه المنطق اللغوي ..

.. الذين أنكروا عودة المسيح عيسى ابن مريم ، اضطروا لتمرير مرادهم في ذلك ،

من خلال إعادة الضمير الهاء في العبارة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ إلى الذي يموت من أهل

الكتاب ، وليس إلى عيسى عليه السلام .. وهذا خروجٌ فاضحٌ على دلالات الصياغة اللغوية لهذه الآية الكريمة .. فكيف يأتون إلى ثلاثة ضمائر متتالية في نسقٍ واحدٍ في آية واحدة تعود إلى أمرٍ واحدٍ [الضمير المتصل في كلمة ﴿ بِهِ ﴾ ، الضمير المتصل في كلمة ﴿ مَوْتِهِ ﴾ ، الضمير المستتر في كلمة ﴿ يَكُونُ ﴾] ، ثمَّ يترعون - دون أيِّ دليل - الضمير المتوسط فيها ليعيدوه إلى متعلقٍ آخر !!!؟ ..

.. والعبارة القرآنية ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ تُفسد عليهم ما يذهبون إليه .. فلو فرضنا جدلاً أنَّ الضمير الهاء في العبارة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ يعود إلى من يموت من أهل الكتاب حين موته ، لجاءت هذه العبارة (حين موته) .. فالعبارة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ والتي تعود إلى عيسى عليه السلام ، تعني مرحلةً محدَّدةً تستمرُّ فترةً تمتدُّ من عودته حتى موته ..

.. وفي كلمة ﴿ قَبْلَ ﴾ في العبارة القرآنية ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، بهذه الصيغة بالذات دون أيِّ صيغةٍ أخرى ، دلالةٌ أخرى تبين أنَّ الضمير الهاء لا يمكن عودته إلى من يموت من أهل الكتاب حين موته عندما تنقطع صلته بالحياة الدنيا ولا يستطيع النطق .. فمعظم أهل الكتاب يعتقدون بما يعتقدون به حتى موتهم ، وتصوُّر منكري عودة المسيح عيسى ابن مريم بعودة الضمير إلى من يموت من أهل الكتاب ، يقتضي إيماناً حين الموت ، أو على الأقل من قبل الموت مباشرة حيث تنقطع صلة من يموت بالحياة الدنيا ولا يقدر على النطق .. وكلُّ ذلك لا تحمله كلمة ﴿ قَبْلَ ﴾ فكلمة ﴿ قَبْلَ ﴾ تمتدُّ لمسافة كبيرة ، لا يمكن حصرها بمرحلة ما قبل الموت مباشرة .. ومن الأدلة على ذلك هو كلمة ﴿ قَبْلُ ﴾ في الآية الكريمة التالية :

﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا

مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ ءَأَلْفَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٢﴾ [يونس : 90 -

[91

.. معصية فرعون ليست حين غرقه ، معصية فرعون امتدت سنين كثيرة قبل غرقه .. ولذلك يقول الله تعالى له : ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، والقول بأن كلمة ﴿ قَبْلُ ﴾ في هذه العبارة القرآنية ﴿ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ تعني قبيل موته أو حين موته ، هو جهلٌ كبيرٌ ، وخروجٌ فاضحٌ على دلالات النصِّ القرآني ، وعلى ما يحمله كتاب الله تعالى من دلالات لقصة فرعون ..

.. ولو فرضنا جدلاً - أقول جدلاً - صحّة ما يذهب إليه منكرو عودة المسيح عليه السلام ، بأن من يموت من أهل الكتاب يؤمن بعيسى عليه السلام حين موته ، بمعنى حين خروج نفسه من الحياة الدنيا ، لو فرضنا ذلك جدلاً ، فما الفائدة من هذا الإيمان ؟!!! .. ألم يبين لنا كتاب الله تعالى بأن الإيمان لا ينفع صاحبه في هذه اللحظة ؟ .. وقد وقفنا عند إيمان فرعون حين أدركه الغرق ، ورأينا أنّه لم ينفعه بشيء .. لننظر أيضاً في قوله تعالى :

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ

فِي ءِٰمَانِهَا حَرِيْرًا ۗ قُلْ اَنْتَظِرُوْا اِنَّا مُنْتَظِرُوْنَ ﴾ [الأنعام : 158]

﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ

قَالَ إِنِّي تُبْتُ آلَيْنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

أَلِيْمًا ﴾ [النساء : 18]

.. إذا .. القول بأن الضمير الهاء في العبارة القرآنية ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ ﴾ ، يعود إلى من

يموت من أهل الكتاب ، بأنّه لا بدّ وأن يؤمن بعيسى عليه السلام حين موته وانقطاع

صلته بالحياة الدنيا ، حيث الخطاب - كما نرى - لا يستثني أي أحد من أهل الكتاب
 ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ ، هذا القول ، ليس صحيحاً على
 الإطلاق ، على الإطلاق .. ونحن نعلم أن معظم أهل الكتاب يموتون على ما هم عليه ،
 وقد بينا أن كلمة ﴿ قَبْلَ ﴾ لا يمكن حصرها بمرحلة ضيقة حين الموت حيث تنقطع فيها
 صلة الإنسان بالحياة لدنيا كل الأدلة ، تؤكد أن الضمير الهاء في العبارة : ﴿ قَبْلَ
 مَوْتِهِ ﴾ لا يمكن إعادته إلا إلى عيسى عليه السلام ..

.. لو كان كلامهم سليماً ، على الأقل - أقول على الأقل - لكانت الصيغة
 بالشكل : ((وإن من أهل الكتاب قبل موته إلا هو مؤمن به)) .. بمعنى : لقدمت
 العبارة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ على العبارة المفترضة : ((هو مؤمن به)) .. لكن .. ما نراه
 في كتاب الله تعالى أن العبارة : ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ حيث الضمير فيها يعود إلى عيسى عليه
 السلام ، تتقدم العبارة : ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ
 قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ .. وهذه الصيغة في كتاب الله تعالى - إضافة لما بيناه من أدلة دامغة -
 تُلزمنا بإعادة الضمير في كلمة : ﴿ مَوْتِهِ ﴾ إلى عيسى عليه السلام ... فمن أي زاوية
 ننظر منها إلى زعمهم بإعادة الضمير في كلمة : ﴿ مَوْتِهِ ﴾ إلى من يموت من أهل
 الكتاب ، نرى أن زعمهم ليس سليماً ..

.. وفي العبارة الأخيرة من هذه الآية الكريمة ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾
 لأكبر دليل على عودة المسيح عليه السلام .. كيف ؟ ..
 المسيح عليه السلام في حوارهِ في الآخرة مع الله تعالى يُبين حقيقة وناموساً يحكمه ،
 هو أنه لا يكون شهيداً على البشر إلا حينما يكون موجوداً فيهم ، نفساً وجسماً ..

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۗ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

[المائدة : 117]

.. قول عيسى عليه السلام ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ۗ ﴾ واضحٌ وبيِّنٌ في أنه لا يكون شهيداً إلاً على من يكون فيهم حياً ، وعلى ما يشاهده بعينه ويسمعه بأذنيه ، وبالتالي لا يكون شهيداً على ما هو غائب عنه .. ولو فرضنا جدلاً صحّة قول منكري عودة المسيح الذين يعيدون الضمير الهاء في العبارة ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ ﴾ إلى الفرد الذي يموت من أهل الكتاب حين موته ، لو فرضنا ذلك جدلاً .. فكيف سيشهد عيسى عليه السلام يوم القيامة ، على من يموت من أهل الكتاب في عام (2012) ميلادي مثلاً؟ .. كيف ..!!!!!!؟ .. كيف سيشهد على من هو غائب عنه ؟!!!!!!؟ .. كيف ..!!!!!!؟

هم يقولون في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة بأنَّ أيَّ واحد من أهل الكتاب حين موته سيؤم بعيسى عليه السلام ، ونحن نقول لهم : لو فرضنا ذلك جدلاً ، ولو فرضنا جدلاً أنَّ الإيمان ينفع صاحبه في تلك الحالة ، فكيف سيكون عيسى عليه السلام شهيداً على هذا المعنى من أهل الكتاب ، في الوقت الذي بيّن لنا عيسى في كتاب الله تعالى أنه لا يكون شهيداً إلاً على ما يشهده وهو حي في الحياة الدنيا ؟!!!!!!؟ .. كيف ..!!!!!!؟ .. في كتاب الله تعالى ، دلالات كلمة (شهيد) تعني الحضور جسماً وعقلاً وإدراكاً ، فلا يكون الإنسان شهيداً إلاً على ما يكون حاضراً عليه (نفساً وجسماً) ، وهي بذلك تختلف عن دلالات كلمة (شاهد) التي تحمل - فيما تحمل - معنى الاستنباط العقلي لأمرٍ لم يكن الشاهد حاضراً فيه ..

﴿ قَالَ هِيَ رَأَوْتَنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن قَبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأٰ قَمِيصَهُ قُدًّا مِّن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِّن كٰذِبِيْنَ ۗ إِنَّ كٰذِبِيْنَ عَظِيْمٌ ﴾ [يوسف : 26 - 28]

.. هذه الحقيقة القرآنية المحمولة بالعبارة ﴿ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ سَهِيْدًا ﴾ إضافة لما بيناه ، ولغيرها الكثير من الأدلة القرآنية ، تُؤكد عودة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، ليحيى ويعيش فترة من الزمن يُؤمن فيها كل أهل الكتاب بحقيقته ، وينتهي فيها قولهم عنه بأنه ابنُ الله تعالى ، أو هو الله سبحانه وتعالى ، وتنتهي هذه الفترة بموته إذا .. في الفترة الممتدة من وفاته ورفعته منذ حوالي ألفي سنة ، إلى عودته ، تمّ التلفيق عليه ، كما تمّ التلفيق في الرسالة الخاتمة من روايات وتفسيرات ما أنزل الله تعالى بها من سلطان .. ولذلك .. في عودته ستبين الحقيقة ، وسيحكم بالقرآن الكريم .. وبذلك يلتقي الروح الذي وضعه الله تعالى في كتابه (القرآن الكريم) : ﴿ وَكَذٰلِكَ اُوْحِيْنَا اِلَيْكَ رُوْحًا مِّنْ اَمْرٰنَا ۗ ﴾ [الشورى : 52] ، مع الروح الذي ملأ به الله تعالى نفس عيسى عليه السلام : ﴿ اِنَّمَا الْمَسِيْحُ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُوْلُ اللّٰهِ وَكَلِمَتُهُ اُلْقِنَهَا اِلَى مَرْيَمَ وَرُوْحٌ مِّنْهُ ۗ ﴾ [النساء : 171] ..

.. وبعض منكري عودة المسيح عليه السلام ، كمعرضين عن هذه الدلالات الواضحة وضوح الشمس وسط النهار ، يستشهدون بالنصّ التالي على عدم عودته ..

﴿ وَاِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ ۗ اَنْتَ قُلْتَ لِلنّٰسِ اتَّخِذُوْنِي وَاٰمِي الْاِلٰهِيْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ۗ قَالَ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُوْنُ لِيْ اَنْ اَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقٍّ ۗ اِن كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۗ ﴾

تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنَّ تَعَذُّبَهُمْ فَأَيُّهُمْ عِبَادُكَ ۗ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ [المائدة : 116 - 118]

.. قالوا : هذا الحوار سيكون في الآخرة ، وإن كان عيسى عليه السلام سيعود ، فهذا يعني أنه في عودته ، يكون قد علم أنهم افتروا عليه - ما بين رفعه إلى السماء حتى عودته - بأنه قال لهم اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله تعالى ، وهنا في هذه الآيات الكريمة في سورة المائدة - والقول لمنكري عودة المسيح عليه السلام - يُنكر علمه بذلك ، إذاً - بناء على قولهم - لا تُوجد له عودة ..

.. وهنا نقول لهؤلاء : هل الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، سأل عيسى عليه السلام ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ﴾ ليعلم ما حدث ؟!!!!!! ..

وهل الله تعالى أجرى هذا الحوار ، من أجل أن يحاسب عيسى عليه السلام على ما افتروه عليه ؟!!!!!! .. وهل عيسى عليه السلام لا يعلم بأنّ الله تعالى يعلم أنّه لم يقل لهم اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله تعالى ؟!!!!!! .. أم أنّ الأمر هو في سياق إقامة الحجّة على من اتّخذ عيسى وأمّه إلهين من دون الله ؟ ... هل يُوجد مؤمن بكتاب الله تعالى لا يعلم أنّ هذا الحوار هو في سياق إقامة الحجّة - في الآخرة - على من اتّخذ عيسى وأمّه إلهين من دون الله تعالى ؟ ، وأنّه ليس في سياق محاسبة عيسى عليه السلام ..

.. هل يُوجد مؤمن مُدرك للحدّ الأدنى من دلالات كتاب الله تعالى ، لا يعلم أنّ الأمر لا علاقة له بعلم الله تعالى ، ولا بعلم عيسى عليه السلام ، إنّما علاقته بشهادة عيسى ، يوم القيامة ، كتفنيد لزعمتهم الذي افتروه عليه ، بأنه قال لهم اتّخذوني وأمّي إلهين من دون الله تعالى ؟ ..

.. وهنا نسأل : هل أنكر عيسى عليه السلام علمه ، أم أنكر شهادته على صدق

زعمهم وافترائهم عليه أثناء وفاته ؟ .. أليس قوله عليه السلام : ﴿ **وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**

مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

لأكبر دليل على أن الأمر يتعلق بالشهادة - لا بالعلم - في سياق إقامة الحجّة على من افتروا عليه أثناء وفاته ؟ ..

.. عندما يُسافر أحدنا إلى بلدٍ ما ، ويحدث في غيابه أمرٌ ما ، ويعود ، سيعلم بالأمر

الذي حصل أثناء غيابه .. لكن .. هل يستطيع أن يكون شهيداً عليه ؟ .. بالتأكيد : لا يكون شهيداً عليه .. فما نراه أن عيسى عليه السلام ينكر شهادته - وليس علمه - في سياق حوارٍ هدفه إقامة الحجّة على من افتروا عليه - أثناء وفاته - بأنه قال لهم اتخذوني وأمّي إلهين من دون الله تعالى ..

.. في كتاب الله تعالى ، الأدلّة على عودة المسيح عليه السلام ، بيّنة لمن يتدبّر

نصوص كتاب الله تعالى ، أمّا من يسير خلف تصوّراته ومزاجه الفكري ، فبالأكيد سيُعرض عن هذه الدلالات ، وسيحمل النصوص الحاملة لها دلالات من جيبه ..

.. منكرو عودة المسيح عليه السلام ، يُخرجون أوهاماً من مخيّلاتهم ، يحسبونها أدلّة

على ما يذهبون إليه في هذا الأمر .. من ذلك قولهم : أليس النبيُّ محمّدٌ عليه السلام خاتم النبيين ؟ ، وبالتالي - والقول لهم - فإنّ عودة المسيح عليه السلام تقدح بكون النبيِّ محمّدٍ عليه السلام خاتم النبيين .. يُقنعون أنفسهم بهذا الكلام ، وكأننا نقول لهم : عيسى عليه السلام سيولد ولادة كشخصٍ آخر لا علاقة له بعيسى المذكور في كتاب الله تعالى .. منهم من يقول : كيف سيعود من مات ، والله تعالى يُبيّن أن من يموت لا يعود ؟ .. يقولون ذلك وكأننا نقوله لهم : عيسى عليه السلام مات وسيعود من حالة الموت ، أو كأنهم يملكون دليلاً من كتاب الله تعالى بأنّ عيسى عليه السلام مات ..

.. بيّنا بما فيه الكفاية أنّ عيسى عليه السلام متوفّي وليس ميتاً .. لكن .. هل السنن الكونيّة تعمل بعيداً عن قدرة الله تعالى وقِيوميّته ؟ .. أبداً .. ألم يقرأ هؤلاء قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة : 243]

﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ [البقرة : 259]

منهم من يسأل : أين هو الآن ؟ ، وكأّنه يعلم ملكوت السماوات والأرض ، وبحث فيها كلّها ، وانتهى من بحثه ، ولم يجد المسيح عليه السلام ، وجاء ليسألنا : أين هو ؟ ، يتكلّم وكأنّ المسألة تحدث بقدرة البشر ووفق تصوّراتهم وليس بقدرة الله تعالى وبعلمه ..

.. بعضهم يعيد الضمير في كلمة : ﴿ بِهِ ﴾ : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ إلى القرآن الكريم ، وهو يرى بعينه ، أنّ السياق السابق يتعلّق بعيسى عليه السلام ، وأنّه لا ذكر للقرآن الكريم في هذا السياق ..

﴿ وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنَّ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنُوا بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَبِوَمِ الْفَيْمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴾ [النساء : 156 - 159]

.. كيف من الممكن أن نُعيد ضميراً إلى ما لا تُوجد له إشارة من ذكر في السياق السابق للنص !!!؟ .. كيف !!!؟ .. هل نضع نتائجنا المسبقة الصنع هدفاً نضعه أمام

دلالات كتاب الله تعالى ، ونبدأ بالبحث له عن مقدمات لا أساس لها ، ضارين بعرض الحائط الأدلة الدامغة التي يحملها كتاب الله تعالى !!!؟ ..

.. منهم من يقول : ما دام عيسى عليه السلام سيشهد يوم القيامة على إيمانهم به ،

فلماذا نرى كلمة ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ وليس (لهم) في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ

شَهِيدًا ﴾ ، وذلك كمحاولة لإيجاد ما يسعفه في إنكار عودة المسيح عليه السلام ..

.. هل الشهادة على الشيء ، تعني حتمية سلبية هذا الشيء ؟!!!!!!؟ ..

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : 143]

﴿ هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ

وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ [الحج : 78]

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : 53]

.. وشهادة عيسى يوم القيامة على من عاصروهم في عودته ، هل هي مقصورة فقط

على إيمانهم به ، أم هي شهادة على كل أعمالهم التي رآها ، إيجاباً كانت أم سلباً !!!؟ ..

.. معظم منكري عودة المسيح عليه السلام ، يُسقطون موقفهم من الروايات على

هذه المسألة ، فيقرنون مسألتي الدجال والمهدي المنتظر (اللتين لا وجود لهما في كتاب الله

تعالى) بمسألة عودة المسيح التي يحملها كتاب الله تعالى - كما رأينا - بشكل واضح ..

وبعضهم يُنكر عودة المسيح عليهم السلام ، فقط لأنَّ الموروث يقول بذلك ، فقط ،

وكأنَّ التنوير مجرد إنكارٍ لكلِّ ما بين أيدينا ..

وأعود فأقول : اعتقادي بعودة المسيح عليه السلام ، ليس نابغاً مما تحمله الروايات التاريخية ، إنما مما رأيته جلياً في دلالات كتاب الله تعالى ، ولا علاقة لما أذهب إليه بما تحمله الروايات المخالفة لدلالات كتاب الله تعالى ، لا من قريب ولا من بعيد .. وما عرضته في هذا البحث هو جزء من الأدلة التي يحملها كتاب الله تعالى لعودة المسيح عليه السلام ، وقد بينت في كتاب (المعجزة الكبرى) جانباً آخر من الأدلة التي تؤكد ذلك سئل الله تعالى ، لا يهتدي إليها إلا من يحصر سمته جهاده في سبيل الله تعالى ، للوصول إليها ، سائراً خلف دلالات كتاب الله تعالى ، وليس أمامها ..

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت :

[69

.. مسألة عودة المسيح عليه السلام ، تُعدُّ من أهمِّ المعايير ، للتمييز بين من يركب موجة التنوير دون منهجٍ علميٍّ سليمٍ حامله دلالات كتاب الله تعالى ، وبين من يسير في بحر دلالات كتاب الله تعالى ، بمركب قواعد اللسان التي يحملها كتاب الله تعالى ، وبسمت المنطق والعقل المجرد التنوير هو أتباعٌ لنور دلالات كتاب الله تعالى ، وليس مجرد إنكار ، ومجرد ردود أفعال على الموروث وغيره ..

﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِمْ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ

﴿ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : 157]

المهندس
عدنان
الرفاعي